

حدود الايديولوجية في اصلاحات المنظومة التربوية الجزائرية

The limits of ideology in the reforms of the Algerian educational system

1

د. حنان بن يوسف*

1 جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر) benyoussef.hanane@univ-mascara.dz

2 د. عدة بشير*

2 جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر) Bachir.adda@univ-mascara.dz

تاريخ الارسال..2025/07/24.....تاريخ القبول 2025/08/27.... تاريخ النشر.16-09-2025

ملخص:

تهدف الدراسة الى التعرف على ايدولوجية المقاربة بالكفاءات من خلال مصطلحاتها المفاهيمية، و هذا من اجل تقييم موضوعي للإصلاحات التربوية في المدرسة الجزائرية بعد أكثر من عقدين من انطلاقتها ، و قد تم الاعتماد على المنهج الوصفي ، وتوصي الدراسة بتبني مصطلح المفهومية لمالك بن نبي لتمكينه من تحقيق الإصلاح الحقيقي للذوات المتفاعلة معه. كلمات مفتاحية: الأيديولوجيا، المدرسة الجزائرية ، الإصلاحات التربوية ، المقاربة بالكفاءات، المفهومية

Abstract:

The study aims to identify the ideology of the competency approach through its conceptual terms, in order to objectively evaluate educational reforms in the Algerian school after more than two decades of its launch. The descriptive approach was adopted, and the study recommends adopting the term "conceptualism" by Malek Bennabi to enable it to achieve real reform of the subjects interacting with it

Keywords: ideology, Algerian school, educational reforms, competency approach, conceptualism

1. مقدمة:

يعتبر التعليم من اهم المؤسسات التي تسعى الدول لتطويره والحفاظ عليه ورعايته لضمان تربية وتعليم فعالان لمواطنيها، ولهذا تعرف هذه الدول اصلاحات في مناهجها لمواكبة مختلف التطورات العلمية المستجدة او تغيرات اجتماعية والجزائر من بين هذه الدول التي عرفت إصلاحات عديدة بمنظوماتها التربوية

فبعد الاستقلال مباشرة سار النظام التعليمي بالجزائر وفق الموروث من عهد الاحتلال مع بعض التغيير في المناهج والبرامج، الى غاية سنة 1976 فقد عرفت إصلاح تربوي حيث ظهور التعليم الأساسي من خلال

*المؤلف المرسل

نصوص ومحتويات وآفاق جديدة تعتمد على جزارة التعليم وتعريبه ومجانيته وديمقراطيته وإجباريته لغاية تسع سنوات دراسية ، مع توجهه التكنولوجي لكن التطورات العلمية السريعة والمتسارعة والتقدم العلمي الهائل والثورة الرقمية فرضت على النظام التربوي الجزائري إصلاحات أخرى سنة 1996 من خلال طبعة جديدة من المناهج التعليمية و هذا من خلال ادخال مفهوم بيداغوجية الأهداف ، لكنها لم تصمد طويلا بسبب ما تغيرات اجتماعية عرفتها الجزائر وخاصة مع الاحداث السياسية والاقتصادية. وفي سنة 2000 عرف تنصيب ما يعرف بما يسمى اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية لتقييم الواقع التربوي و اقتراح اصلاح عميق في المنظومة التربوية، لكنها عرفت بوادر توجهات ايدولوجية متعارضة ، فحسب خدوسي (2000) تم اول خلل في لجنة الإصلاح البيداغوجي حول التشخيص بحيث رفض البعض جعل اللغة العربية مشجبا لتعليق الفشل المدرسي و ضرورة التفتح على اللغات الأجنبية، و أيضا تم التطرق الى دمج التربية الإسلامية بالتربية المدنية من خلال مادة جديدة تحت تسمية التربية الخلقية ، و اقتراح تدريس المواد الرياضية في التعليم الثانوي باللغة الفرنسية(التيجاني ، حاج سعد، و حناي، 2022، صفحة 76).

فمن خلال ما سبق نجد ان الاصلاحات كانت تواكب تغيرات اجتماعيه اكثر من متطلبات التربويه، مما يجعل بعض التقييمات متسارعة للنظام التربوي،و الإصلاحات الأخيرة تبنت " المقاربة بالكفاءات " و التي كان الهدف منها مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي ، وهذا ماحاول الإصلاح التربوي أن يستجيب له لذلك نجد بأن مختلف التشريعات الخاصة بإصلاح المنظومة التربوية أكدت على هذا الجانب وهو العولمة في بعدها الاجتماعي حيث ورد في النشرة الرسمية الخاصة بالقانون التوجيهي عند الحديث عن دواعي إصلاح منظومة التربية والتعليم في الجزائر ما يلي: " إصلاح المنظومة التربوية أصبح أمرا ضرورياً سواء بسبب الوضعية الحالية للمدرسة الجزائرية، أو بسبب التحولات المسجلة في مختلف الميادين على الصعيدين الوطني والعالمي، والتي تفرض نفسها على المدرسة بصفاتها جزءا لا يتجزأ من المجتمع الجزائري.

هذه النظريات التربوية تنتمي الى عالم الأفكار الذي تحدث عنها مالك بن نبي، وقد حذر من استيراد المباشر للأفكار وانتزاعها عن هويتها ومحيطها الثقافي وبالتالي فصلها عن جذورها الحيوية مما يؤدي الى فقدان فعاليتها بعد ان تشوه شخصية الذي استوردها وتبناها وقلدها بانتقام هذه الأفكار القاتلة.

فمن خلال هذه المقدمة سنحاول في هذه المداخلة التطرق الى التساؤل الرئيسي:

ماهي الخلفيات الايدولوجيا لنظريات الإصلاحات التربوية بالمدرسة الجزائرية؟

و للإجابة عن التساؤل وضعنا مجموعة من التساؤلات الفرعية و هي :

-ماهي الايديولوجيا ؟

-ماهي المقاربة بالكفاءات التي تبنتها إصلاحات المنظومة التربوية؟

- ماهي إيديولوجيا المقاربة بالكفاءات من خلال مصطلحاتها ؟

2- أهمية البحث:

تندرج أهمية هذا البحث في تناولها موضوع متعلق بتخصصين مهمين و هما الفلسفة و التربية و هذا لارتباطهما بعالم الأفكار الذي يعتبر المورد الرئيسي لعالم الأشخاص و الأشياء حسب مالك بن نبي ، و ندرج في تقييم الإصلاحات التربوية بعد أكثر من عقدين ، و لكن من الجانب النظري الفلسفي لها ، والذي يمثل خلفيات الجوانب التقنية أو البيداغوجية الممارسة في الوسط المدرسي .

3- أهداف البحث:

تمثلت اهداف في مايلي:

- التعرف على الخلفيات الفلسفية للمقاربة بالكفاءات
- استنتاج اهم الخلفيات الأيديولوجيا في مصطلحات المقاربة بالكفاءات
- المساهمة في تقييم الإصلاحات التربوية من الجانب النظري.

4-حدود البحث: اعتمد البحث على مجموعة من المراجع التي تمكنا من التوصل اليه و هي تعتبر محددات للنتائج المتوصل عليها.

5-منهج البحث : بسبب طبيعة البحث و أهدافه التي يمكن ان ندرجها في سياق الوصف والشرح والتحليل المفهومي الأيديولوجيا والمقاربة

"إنه وصف دقيق وتفصيلي لظاهرة أو موضوع محدد على صورة نوعية أو كمية رقمية، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة أو حجمها ودرجة ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى، وقد يقتصر هذا المنهج على وضع قائم في فترة زمنية محددة أو تطويرا يشمل عدة فترات زمنية.(دويدري، 2025)

للإجابات عن تساؤلات سيتم تقسيم البحث الى قسمين و هما جانب مفاهيمي و يتم فيه تناول الأيديولوجيا ، و القسم الثاني المقاربة بالكفاءات ، ثم في الأخير نحاول الإجابة عن التساؤل البحثي للدراسة.

6- مفهوم الايديولوجيا:

تعرف الايديولوجيا لغويا بانها تتكون من مقطعين و هما idea و logy ونقصد بها علم الأفكار ، و قد تم استخدامها اول مرة من طرف أنطوان دستو دو تراسي ، فحسب سعدي ، عبد السلام وصالح (2022) استخدمت سنة 1796 - 1801 يعني بها و يقصد بها "علم الأفكار" و هذا أثناء الثورة الفرنسية ، فقد اعتقد مع ذلك الحماس العقلاني النمطي للتنوير ، أن من الممكن موضوعيا الكشف عن أصول الأفكار ، و أيضا لمواجهة الأفكار السلطوية السائدة من طرف او أعلن أن العلم الجديد سوف يتمتع بنفس المكانة الخاصة

بالعلوم الراسخة هو يختلف عن الميتافيزيقا و خاصة ان فترة الثورة الفرنسية ما ميزها هو نقد الأفكار الفلسفية السابقة باعتبارها غير صالح للعصر الثري و قد اطلق على أصحابه "الايديولوجين" ، لكن تعارضهم مع نوايا نابليون و الفكر الامبراطوري جعله يعارضهم و يصف هذه الأفكار بالنظريات الواهمة و اصبح هذا المصطلح يعتبر اتمام لكل من يعارض السلطة او التشريعات ، وواجه هذا المصطلح تحي كبير ،فق فقدت بريقها كثيرا.

6-1- إشكالية مصطلح الايدولوجيا:

تعتبر الأيديولوجيا من الكلمات الدخيلة الى اللغة العربية مما يدفعنا الى الدلالة المعجمية و الاصطلاحية للكلمة ،و هو يعد من المفاهيم الواسعة الاستعمال في هلم الاجتماع والعلوم السياسية و حتى التربية و الاقتصادية ،والدينية ، فقد انتقل من توظيفه اول مرة من علم مثل باقي العلوم لدراسة الأفكار بطريقة علمية منهجية الى مصطلح ذو دلالات واسعة يتسع كل الحقول المعرفية و يوظف لخدمة أفكار كل مدرسة فكرية، و لتعدد المدارس الفكرية سنحاول تناول أفكار بعض المفكرين الذي تناولوا هذا المصطلح بالبحث و التنقيب و خاصة من العالم العربي.

أ-المدرسة الماركسية :

إن الايديولوجيا عند ماركس هي تبرير للمصالح الاقتصادية والقوة السياسية في المجتمع، وأن كل جهود الانسان الفكرية تتلشى في إيديولوجية الطبقة المهيمنة، فهي عنده تظليل ووهم، وأن هذا الوعي الزائف في المجتمع الرأسمالي ينتج عن ظهور العالقات الاجتماعية في مجال السوق بشكل يخفي جوهرها، فهي وعي موضوعي ولكنه زائف لدى أفراد المجتمع بصرف النظر عن وضعهم الطبقي.(دخيل و صالح، 2022)

لكن هناك بعض الماركسيين من رفضوا المعنى السلبي للايديولوجيا و اعتبارها أدا هيمنة و منهم غرامشي الذي يرى ان الطبقة العاملة قادرة على خلق ايديولوجيتها الخاصة لمواجهة الهيمنة و هذا من خلال توليد بنية معرفية و أيضا بماء مؤسسات ثقافية خاصة و مثقفين عضويين و كل مهم للتخلص من الطبقة السائدة.

ب-المدرسة الليبرالية :

من الصعب تحديد مفهوم لعلم الأفكار في المدارس الليبرالية وخاصة في عصرنا الحديث ، فقد ظهرت بعض الآراء التي تنادي ب"نهاية الأيديولوجيا" وهذا من أجل إخفاء الصراع الأيديولوجي و تناقضات الأيديولوجيا البرجوازية و خاصة بعد هيمنة الرأسمالية و زوال الاشتراكية ،و هو ليس جديد بل هناك مؤتمر عقد في ميلانو في سبتمبر 1955 لمناقشة نقد الأيديولوجيا و الفكر العقائدي و ظهر خلالها مصطلح نهاية الأيديولوجيا.

لكن حسب (دخيل و صالح، 2022) نجد أن يتحدثان عن عالم الاجتماع الكندي جاوستين الذي يرى ان الأيديولوجيا هي فلسفة المجتمع و قبول الأيديولوجيا هو قبول فلسفة مجتمع ما و تتميز الأيديولوجيا المعاصرة في :

- التعصب الذي يتمثل عادة بضيق النظرية التي ال تسمح بأي انحرافات عن المبدئ المقاولات الموضوعية

- الأيديولوجيا تلي رغبات خاصة ببعض الفئات في المجتمع و هي ثلاث :الرغبة في الرفاه، الرغبة في فهم معنى الحياة والتاريخ والحياة الإنسانية الفردية، والرغبة في الحصول على مكانة في المجتمع
- الأيديولوجيا المهيمنة أداة لتمرير التكامل، فهي توحد الناس حول أهداف اقتصادية واجتماعية وعسكرية وغيرها، إذ تجعل من المجتمع الإيديولوجي مجتمعا دكتاتوريا، أما المجتمعات التي تكون فيها أهمية الأيديولوجيا فهي مجتمعات متعددة،

و هناك تيارات أخرى في كل مدرسة تقدم تعريفات أخرى للمصطلح ، لكن في العالم العربي الإسلامي نجد هناك المقلدون أو الفئة التي تترجم و تستورد المصطلح و توظفه مباشرة ، دون تنقية أو إزالة من الشوائب التي تحملها كل فكر ، و كيف بعالم الأفكار، لكن هناك من اقترح أسلوب الاجتهاد الاصطلاحي وهذا يخلق مصطلحاتنا الخاصة لمواجهة الفكر الغربي المستورد ،ونذكر منهم عبد الوهاب المسيري ومالك بن نبي، و لهذا سيتم ذكرهما كنموذجين في دراستنا :

ج-الأيديولوجيا عند عبد الوهاب المسيري

، فحسب المسيري (2008) في مقال تحت عنوان "في الأيديولوجيا والقول" يقول

"كلمة "أيديولوجية" التي شاعت في الخطاب السياسي العربي مصطلح ينتمي للغات الهندية الأوروبية مكون من مقطعين أصلهما إغريقي ("أيدا" وتعني فكرة، "لوجوس logos" وتعني حرفيا "كلمة" ولكنها تعني "دراسة" أو "علما"). وكلمة أيديولوجية منبثة الصلة بنسقنا اللغوي وبالتالي الفكري، وهي إلى فضل ذلك كلمة مختلطة الدلالة في لغتها الأصلية فهي تعني الشيء وعكسه"

وقد أثر هذا التيه الدلالي للمصطلح في توظيفها لدى جميع التيارات السياسية المتعارضة لتعبئة أنصارها وأحيانا من تيارات متعارضة كالماركسية و اليمينية بل حتى المتدينة من اجل تعبئة أنصارها من خلال التبسيط والاختزال وتشويه للأفكار.

و يقول أيضا "إن كلمة "أيديولوجية" اسم أعجمي يصعب نحت فعل منه، وهذا يعود إلى عبقرية اللغات الهندية الأوروبية، فهي لغات يحتل فيها الاسم مكان الصدارة على عكس اللغات السامية التي يشكل الفعل فيها الوحدة الأساسية التي تولد منها الأسماء والدلالات والصفات.

وفي تصوري أن العلوم الإنسانية العربية يمكنها أن تصل إلى مستوى إبداعي مستقل لو ابتعدت قليلا عن التفكير بالاسم وبدأت بالتفكير بالفعل (ومشتقاته)."

و يقترح لمعالجة هذا الخلط المفاهيمي الاستغناء عنها من خلال التوليد و الإنتاج فيقول:

"واصطلاح "أيديولوجية" يمكننا الاستغناء عنه حتى لا نكبل العربية به. وأقترح كلمة "قال" ومشتقاتها ومجموعة من الكلمات الأخرى المرتبطة بها كمصطلح لا ليحل محل "أيديولوجية" ولا كترجمة له وإنما كنقطة بدء مغايرة" (الوهاب، 2024)

د-الأيديولوجيا عند مالك بن نبي

تبنى ملك بن نبي مصطلح "المفهومية" للدلالة عن الإيديولوجيا و قد ركز على دورها المهم في الدورة الحضارية للمجتمعات بحيث يقول في كتابه القضايا الكبرى "كل فراغ إيديولوجي لا تشغله أفكارنا، ينتظر أفكارا منافية معادية لنا" و هو يعرفها ب "مجموعة الأفكار والمفاهيم التي تنتشر في ثقافة ما وتشكل إطارها المرجعي" (مُجد ب..، 2016)

و يقول أيضا لتوضيح هذا الدور في كتاب في الحضارة والايديولوجيا " إن المفهومية (الإيديولوجيا) هي ضرورة تنظيم معين وليست مجرد لعبة يسلى بها العقل ، فإذا كان التنفس ينظم الحياة داخل الكيان الفردي ، فإن المفهومية أو الايديولوجيا تنظم الحياة داخل الكيان الاجتماعي الذي يكون محملا بالطموحات لا يقدر على تحقيقها إلا اذا حقق الشروط الثلاث الاتية :

حالة توتر: فهو يعتبره شرطا اوليا لكل طموح مجتمعي حضاري يريد أن يتجسد فيقول "بات من الواضح بأن درجة التوتر هي التي ستحدد فعالية كل الحركات، سواء تلك التي خضعت إلى تصميم مسبق أو تلك التي لم تخضع " فه يشبها بالمصباح الذي يحتاج الى شدة من التيار التي تسمح بالتوهج المطلوب و كلما قلت لن تسمح له بالإضاءة

حالة اندماج:الاندماج أو التكامل ن أساسي ثان للمفهومية، يرتبط به أداء المجتمع و فعاليته فهي " تضع في حركية مجتمع ما ثقل ودرجة الفاعلية. فعندما لا تتحقق هذه الحالة يكون المجتمع عندئذ في حالة اندماج ناقص.ن.الاندماج يقتضي انخراط النشاط الفردي ضمن النشاط 9 اندماج ناقص "الاجتماعي، وخنوس الأنا الذاتية وانسجامها مع المسار العام للمجتمع، لأن فاعلية الأفكار تخضع دوما لشبكة العلاقات

حالة توجيه معين: لا يمكن للاندماج أن تحققا أثرا إيجابيا ما لم تستكمل بشرط ثالث وهو التوجيه، الذي يحدد له بن نبي مفهوما بقوله: هو بصفة عامة قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف" (جمال، 2024)

7- المنظومة التربوية واصلاحاتها

إن مفهوم المدرسة بالتحديد قد ظهر اثر الانتقال الذي عرفه الفعل التربوي من مهمة تتكفل بها الأسرة إلى مهمة عمومية التي يعهد إليها دور التنشئة الاجتماعية للأفراد وفق مناهج برامج يحددها المجتمع حسب فلسفته، وتخضع لضوابط محددة تهدف من خلالها إلى تنظيم فاعلية العنصر البشري، بحيث تنتج وتفعّل وفق إطار

منظم يضبط مهام كل فئة، فهي السبيل الوحيد الذي يلج إليه الأطفال منذ صغرهم بعد الأسرة التي تمثل المدرسة الأولى، إلى أن يلتحقوا بسوق الشغل، وبالتالي فهي بمثابة معمل لتكوين الموارد البشرية، وهي كذلك فضاء يلتقي فيه الأطفال والراشدون، حيث توفر لهم فرص التفاعل فيما بينهم، كما تعكس مختلف التيارات الاجتماعية بكيفية شعورية أو لا شعورية، ولكنها تعتمد إلى التربية والتكوين وفق الثقافة التي تملئها كمؤسسة مدرسية، أما تبعاً لهذا تشكل عامل توحيد، عامل لمجتمع مختلف الطبقات الاجتماعية وصهر أفكارها وبلورتها بقدر الإمكان عبر خطابها التربوي. (حسين، 2010)

وتعتبر علوم التربية من العلوم الإنسانية التي تتعرض أكثر من غيرها إلى تدخل المؤسسات والهيكل الدولية (البنك الدولي، صندوق النقد الدولي، اليونسكو، اليونيسيف.....) فقد جاء في الفصل الثامن تحت عنوان: دور السياسات في الاختيارات والتوجهات التربوية؛ من التقرير الحادي والعشرين لليونسكو حول التربية والتعليم ما يلي " يجب على الأنظمة التعليمية أن تستجيب لحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية، كما يجب عليها رفع التحدي التكنولوجي كخطوة ضرورية نحو القرن الحادي والعشرين

يعتبر استيعاب الأسس النظرية لما تنتجه هذه العلوم من مقاربات، يشكل آلية من آليات التعامل الوظيفي مع هذه المقاربات، التي انبثقت عن ما يعرف بمصطلح "العولمة"، الذي فرض نفسه كواقع منذ أن أعتبر الرأسمال الأوروبي أن من حقه الاستثمار في الموارد الأولية خارج القارة الأوروبية، ولو عن طريق الغزو العسكري، وإذا كان هناك من جديد قد حمله انهيار المعسكر الاشتراكي؛ هو إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على قيادة المرحلة الثانية، في هيمنة النمط الصناعي الرأسمالي على مختلف بقاع العالم، بما يقتضيه هذا الإصرار من إدماج "الإرادات السياسية" القابلة للاندماج عن طريق آليات اقتصادية لا تراعي الحد الأدنى من شروط تكافؤ الفرص، وفي ظل الاستمرارية، تطرح مسألة الامتدادات الثقافية لما ينتجه "المركز الصناعي" من بضائع وتقنيات، وأنماط عيش وتفكير، وبديل الوقوف عند ثنائية الرفض والقبول لما ينتجه هذا المركز عرف العالم الثالث مشاريع فكرية سعت إلى تنسيب التقنيات الحديثة، بما فيها تقنيات العلوم الإنسانية دون المساهمة في إعادة صياغتها بشكل يلاءم الخصوصيات المحلية، وتعتبر المدرسة من بين المؤسسات المهمة لما لها من دور بنائي ووظيفي؛ التي تشهد تحولات جذرية تندرج ضمن سياق استقطاب مقاربات من بيئات مختلفة وتثبيتها على شكل واقع؛ يعرف بالإصلاحات التربوية، وأهم واحد ما يطرح حالياً من هذه الإصلاحات هو بيداغوجيا الكفايات (حسين، 2010)

7-1- المقاربة بالكفاءات

لقد ظهر مفهوم الكفاءة في نهاية القرن 19 عشر في مجال الشغل، وتبلور في مطلع القرن 20 عندما استعمل في مجال التكوين المهني، حيث ارتبط استعماله بالكفاءة المهنية، حيث جاء التعريف على النحو التالي: "

الكفاءة المهنية هي قدرة الشخص على استعمال مكتسباته من معارف و خبرات و تجارب , من أجل شغل مهنة أو وظيفة أو عمل جاد, حسب شروط محددة و معترف بها في عالم المهن و الحرف والصنع."

كما أنه صار مرتبط بالتدريبات العسكرية و المناورات القتالية في الهجوم وفي الدفاع , برا و بحرا و جوا , ثم طور ووظف أخيرا في ميدان التربية و التعليم و التكوين , اذ أصبح مرتبطا ببناء المناهج التعليمية و هو ما أصبح معروفا في الأوساط التربوية " المقاربة بالكفاءات ".(شرقي و بوساحة، 2011)

7- 2 بيداغوجيا الكفاءات:

تتميز المقاربة بالكفاءات بتبني أدوار مختلفة لجميع عناصر العملية التربوية و منها دور المدرس:

إذ المدرس هو حجر الزاوية، وهو الذي تقع عليه مسؤولية النجاح أو فشل في العملية التربوية والتعليمية، فالمدرس هو الشخص الوحيد الذي يعود إليه الفضل في الوصول بالمتعلم إلى الملمح الذي يسعى إليه كل منهاج، والعكس صحيح(الطيب، 2024، صفحة 255)

و يمكننا أن نلخص دور المدرس في ما يلي:

-وسيطا بين المعرفة.

-يسهل عملية التعلم الذاتي وينسق.

-تتبع السيرورة التعليمية منذ البداية إلى النهاية

-التقويم تشخيصي وتكويني وتحصيلي للمتعلمين

أما ادور المتعلمين وفق المقاربة بالكفاءات فهي

المتعلم:

الجدير بالذكر أن أهم ما ميز هذه المنهاج هو إعدادها وبنائها وفق النظرية البنائية والذي تعتمد على منطق التعلم المتمركز حول المتعلم وأفعاله وردود أفعاله أمام موضوعيات إشكالية. فالنظرية - البنائية هي من النظريات الحديثة لما لها تأثير فعال فيعملية التعلم، وذلك لاعتمادها على مفهوم التعلم كعملية بناء، والتي تجعل المتعلم نشطا

وتمكنه من استخدام قدراته الذهنية، وتمكنه من إدراك المفاهيم ومعالجة المعطيات وبناء معرفته(العراي، 2024، صفحة 404) و يمكننا أن نلخص مهامه في :

-يساهم في عملية البناء

- ايجابي وفاعل

- له حوافز مرتبطة بتصوره حول المشكلة أو النهمة وبقدراته الذاتية

7-3- إيديولوجيا بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات

من خلال ما سبق وضحنا ان هناك مصطلحات متضاربة في مفهوم الأيديولوجيا ، و المصطلح الذي يتناسب مع هذه الدراسة هو لمالك بن نبي "المفهومية" و التي عرفها ب "مجموعة الأفكار والمفاهيم التي تنتشر في ثقافة ما وتشكل إطارها المرجعي" ، و من خلال هذا التعريف نرى ان ايدولوجية المقاربة بالكفاءات لا تختلف عن مصدر هذه المقاربة و المتمثل في النظام الرأسمالي رغم تبني بعض مفكره فكرة موت الأيديولوجيا ، وتصدير الأفكار و التكوين و المناهج بقلب سلعوي أي انها سلعة يمكن اقتناؤها ، و لكن لو رجعنا الى المبررات التي كانت سبب في تبني الإصلاحات التربوية في الجزائر نجدت في القانون التوجيهي لسنة 2008 مجموعة منها التخلي عن الاقتصاد الموجه وأساليب التسيير الممركز والتأسيس التدريجي لاقتصاد السوق - .عولمة الاقتصاد وما يتطلبه من التحضير اللائق للأفراد والمجتمع، لمواجهة التنافس الحاد- .و التطور السريع للمعارف العلمية والتكنولوجية ووسائل الإعلام والاتصال الحديثة وما تفرضه بخصوص إعادة تصميم ملامح المهن. و لهذا يعد المبرر الأهم هو مدى قدرة النظم التعليمية على الاستمرار في دورها التنموي الشامل، و قدرتها على مساعدة الأفراد على التفاعل الإيجابي مع ظروف مجتمعاتهم الاقتصادية والثقافية ، و لهذا استحث جهود المهتمين بالدراسات التربوية والاجتماعية والثقافية، وكذلك صناعات السياسات التعليمية إلى التأمل والبحث والنقد في سبيل الخروج من مأزق نكوص دور التعليم التنموي ، لكن الملاحظ ليس الجزائر فقط بل حسب (الحازمي، 2018) ان معظم الدول النامية قد انطبعت بالذهنية الاقتصادية، وقيد اتجاهه الإصلاحية بمبادئها الذرائعية (البراغمية)، والتزم مالا يلزم من خطابها الرأسمالي، الذي عبر وتوسع في أنحاء العالم بفضل العولمة والثورة المعلوماتية . لقد ساهمت حالة الاستهلاك الاقتصادي والمعرفي، وربما الثقافي في بعض الأحيان، التي تمر بها المجتمعات الاستهلاكية إلى تأطير محاولات إصلاح البنية التعليمية بحدود ومنطلقات الذهنية الرأسمالية . وتحولت هذه الذهنية إلى ما يشبه "الأيديولوجيا التربوية" أيديولوجيا توجه مشاريع ومبادرات إصلاح التعليم في تلك المجتمعات.

أصبحت مهمة التعليم في اطار مبدا الأدائية هي أن يعمل بأفضل مستوى ممكن من الكفاءة على تزويد المتعلمين بالتعليم الذي يحتاجون اليه من أجل زيادة اسهامهم في تطور النظام الاجتماعي ، ولأن النظام هو بالدرجة الأولى نظام اقتصادي، فقد أصبحت غاية التعليم في عصر ما بعد الحداثة هي تحقيق مطالب الاقتصاد الرأسمالي في ظل شروط المنافسة العالمية ، و أصبحت المؤسسات التربوية مؤسسات وظيفية وأدائية بصورة أكبر، وحيث أصبح التركيز منصب على المهارات بدلا من المثل العليا، و هكذا أصبح الأداء المتسم بالمهارة ، او الكفاءة ، يحتل بشكل متزايد جزءا كبيرا من الغايات الأساسية للمناهج التربوية.

لقد حلت فكرة الفاعلية، فكرة الكفاءة والجودة المقترنة بها محل التفكير في غايات التربية، وأصبحت هذه الفكرة ثقافة سائدة في مجال التربية يطلق عليها العقلانية التقنية (مُجد م.، 2023، صفحة 156)

و لكي نجد ان معظم المناشير و التوجيهات التي رافقت الإصلاحات اشتملن على هذه المصطلحات .و أيضا لا يمكن ان نهمّل دور التحول من مصطلح المدرسة التربوية الى المؤسسة التربوية ، فهذا لتغيير له خلفيات أيديولوجية فالمدرسة من مصادر تكريس الأيدولوجيات من خلال الفلسفة التربوية التي تتبعها كل دولة اتجاها، فتصبح للمدرسة وظيفة أخرى تكتسي طابعا أيديولوجيا لأنها تعتبر أداة للإدماج، فهي كما قال " بيار بورديو" في كتابه "إعادة الإنتاج" المدرسة أداة لإعادة إنتاج الثقافة والنظام السائد، والأكثر من هذا هي جهاز أيديولوجي مهمته نقل وترسيخ أفكار الهيمنة وذلك لإعادة إنتاج تقسيمات المجتمع الرأسمالي وجعل النخبوية عملا مشروعاً، وبالتالي إعادة إنتاج اللاتكافؤات الاجتماعية للقيم والعلاقات السائدة وهكذا فالوظيفة الأيديولوجية للمدرسة تتجلى في كونها مؤسسة للترويض الاجتماعي وإعادة إنتاج نفس أنماط الفكر والسلوك المرغوب فيه من طرف المجتمع (حسين، 2010).

8 - الخاتمة :

تسعى الجزائر من خلال إصلاحات المدرسة الى مواكبة التطور الحاصل في المجال العالمي ، و خاصة في المجال التربوي من خلال اقتصاد المعرفة الذي يعتبر الرأسمال المال البشري من اهم المؤشرات التي يتم تقييم الدول وفقها ، و أيضا هناك تقييمات عالمية للنظم التربوية و منها البرنامج الدولي لتقييم مكتسبات التلاميذ PISA الذي شاركت فيها الجزائر سنة 2015 و تحصل على المرتبة 69 بمشاركة 70 دولة فقط ، و قد تم التقييم في الرياضيات والعلوم والقراءة ، و هذا بعد 12 سنة من الإصلاحات، مما يدفعنا الى طرح تساؤلات عن جدوى هذه الإصلاحات رغم عدم تحقيقها لمتطلباتها الأساسية و هي النجاعة و الكفاءة ، وهذا بالرغم مما يمكن ان تحمله من خلفيات أيديولوجية رأسمالية تؤثر في التوجه العام للدولة الجزائرية الاجتماعي الذي يسعى لتكافؤ الفرص بين جميع أفراد المجتمع .

و لمعالجة هذه الاختلالات فنحن بحاجة الى التربية الأيديولوجية (المفهومية) كما تحدث عنها مالك بن نبي من خلال وظيفتين ، تنبيهية تنبه الذات بكل ما يوجهه من خطر و يهدد وجودها كذات قائمة و خاصة من كل فكرة قاتلة، و أيضا تذكرها بهويتها و امكانياتها المادية والمعنوية ، و الوظيفة الثانية تحريضية و الذي تدفعها الى اختيار التغيير الارادي كبديل لكل وضع سيء دفعا للمخاطر المحدقة بمصيرها.

المراجع و المصادر

1. إبراهيم عبد الله عبد الرؤوف مُجَد. (2017). الطاقات المتجددة والتنمية المستدامة (دراسات تحليلية تطبيقية) (الإصدار 1). الاسكندرية، مصر: دار الجامعة الجديدة.
2. أحمد الحازمي. (2018). البيداغوجيا النقدية و تهاافت الأيديولوجيا الرأسمالية: استشكالات نقدية في سبيل إصلاح التعليم في المجتمعات الاستهلاكية . المجلة الأردنية في العلوم التربوية، الصفحات 267-281.
3. المسيري عبد الوهاب. (2024, 02 20). مقالات. تم الاسترداد من الجزيرة:
<https://www.aljazeera.net/opinions/2008/4/13/%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%84-2>
4. بغداد باي مُجَد. (2016). تربية إنسان مابعد الموحدين قراءة تربوية نوعية لفكر مالك بن نبي. اطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النفس -غير مطبوعة-. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية: جامعة وهران 2.
5. بوسماحة الطيب. (2024). الكفاية التربوية للمعلمين ودورها في جودة التعليم. مجلة الساورة للدراسات الانسانية و الاجتماعية، 172-251.
6. بوغلم جمال. (2024). مشكلة الملف هومية عند المكنيني. مجلة آفاق علمية، 139-157.
7. تواتي هوارى ، جبار أحمد، حربي مُجَد، دوراري عبد الرزاق، طالب الابراهيمى خولة، و لعرج واسيني. (2020, 02 20, 2024). مجلة الحكمة. تم الاسترداد من رباط الكتب: <https://ribataalkoutoub.com/?p=2543>
8. جيلالي مستاري. (2010). الخطاب الديني في المدرسة الجزائرية : بعض الملاحظات النقدية على كتب مادة التربية الإسلامية في الثانوي. انسانيات، الصفحات 47-48.
9. رجاء وحيد دويدري. (2025, 1 27). كتاب البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية. تم الاسترداد من المكتبة الشاملة: <https://shamela.ws/book/8368/173#p7>
10. رحيمة شرقي، و نجة بوساحة. (2011). بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات في الممارسة البيداغوجية. مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، الصفحات 52-63.
11. عبد السلام دخيل، و زياني صالح. (2022). مفهوم الايدولوجيا علاقتها بالتعليم بين النظرية النقدية والاتجاه المحافظ. المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، 280-292.
12. علي دريس. (2017). الأبعاد الهوياتية ورهانات الإصلاح التربوي. المستقبل العربي، 95-112.
13. مُجَد & علي جمعان الشكيل رأفت اسماعيل رمضان. (1988). الطاقة المتجددة (الإصدار 2). بيروت، لبنان: دار الشروق.

14. محمود العرابي. (2024). درجة استخدام أساتذة التعليم الثانوي لدورة التعلم في تدريس المفاهيم الرياضية -دراسة على عينة من أساتذة التعليم الثانوي رياضيات بالجزائر. *مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية*، 435-403.
15. مشطر حسين. (2010). الخلفية النظرية لبيداغوجيا الكفايات المدرسة الجزائرية أي نموذج؟ *دراسات نفسية وتربوية*، الصفحات 2-19.
16. موسى فتحي مُجَّد. (2023). فلسفة التربية فيما بعد الحداثة. *مجلة كلية التربية بتمهنا الأشرف*.
17. مياطه التيجاني ، سليم حاج سعد، و محمد حناي. (2022). إصلاحات المدرسة الجزائرية بين الأدلة والثوابت الوطنية -المشكلات المركبة والرؤى المعيّنة-. *مجلة الشامل للعلوم التربية والاجتماعية*، الصفحات 71-84.
18. ناصر الدين سعيدون. (2021). المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية). لمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
19. نور الدين سعدي. (2022). الخطاب التربوي و الايديولوجي في المدرسة الابتدائية بالجزائر. *اطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في علم الاجتماع -غير مطبوعة- . كلية العلوم الانسانية والاجتماعية: جامعة سطيف 2.*